

معرف الكائن الرقمي للمقال (DOI): 10.54240/2318-011-003-010

واقعة مزغران من خلال شعر الشاعر لخضر بن خلوفا

دراسة وتحليل

The Battle of Mazagran through the poetry of Lakhdher Ben
Khlouf

(study and analysis)

اسم المؤلف المرسل: دوبالي خديجة- Doukali Khadidja صص 204-226

الدرجة والعنوان المهني: أستاذة محاضرة أ في التاريخ الحديث- جامعة ابن خلدون- تيارت

البريد الإلكتروني: doubali_histoire@yahoo.fr

تاريخ استقبال المقال: 2021/06/30 تاريخ المراجعة: 2021/07/07 تاريخ القبول: 2021/09/29

ملخص: يعد العلامة لخضر بن خلوفا من أعلام القرن الثامن الهجري الموافق للقرن الخامس عشر ميلادي، فامكاناته العلمية وثقافته بؤاته مكانة كبيرة بين علماء الجزائر باختلاف عصورهم، فأضحت مؤلفاته الأدبية مثل (القصيدة الموسومة بـ"الوصية و"تبقاو بسلامة ومزغران)، مصادر تاريخية يمكن الرجوع إليها للتأريخ للصراع الجزائري الأسباني. فالواقف على إنتاجه الأدبي يلاحظ أنه استطاع أن يرسم الخطوط العريضة لذلك الصراع. عايش الشاعر لخضر بن خلوفا فترة تمازج فيه انتصار دولة الإسلام في جهة واخفاقها في جهة أخرى؛ فظهور الخلافة العثمانية كقوة راذعة للحملات الصليبية جعل العالم الإسلامي يتفاذى التهاوي نهائيا، ولكن بالمقابل سقوط الأندلس على يد النصارى الأسبان سنة 1492م، وانعكاستها الخطيرة على السواحل المغاربية عموما والجزائرية على وجه الخصوص شكل صدمة في ضمير العالم الإسلامي عموما، وفي ضمير لخضر بن خلوفا على وجه الخصوص. لهذا نجده في مؤلفاته يرثي المدن الجزائرية التي احتلها الأسبان، ويؤرخ لمحنة الجزائريين في صراعهم المير معهم؛ وقصيدته الموسومة بـ"مزغران" خير دليل على ذلك. فقد انفرد لخضر بن خلوفا عن غيره من الأدباء أنه اختصر الصراع الجزائري الأسباني في منطقة الغرب الجزائري عموما ومنطقة مزغران على وجه الخصوص في قصيدة

شعرية رصدت لنا أهم ملامح المعركة، كما ترجمت روح الجهاد والمقاومة التي تحلى بها سكان المنطقة وذلك بالحديث عن الشخصيات البارزة التي شاركت في المعركة. فقد كان الغرض الأساسي عند لخضر بن خلوف من دراسة هذه الصفحة من تاريخ الجزائر ليس سرد المنجزات والتغني بالأمجاد والبطولات، بقدر ما هو تفسير لنسق الأحداث واستخلاص القيم والعبر منها قصد تدارك الأخطاء، وتكوين نظرة شمولية تمكننا من استشراف المستقبل، ففي فكر هذا الأديب المجاهد بقلمه أن نكبة سقوط المدن الساحلية الجزائرية ومن بينهم مستغانم، التي شكلت في أوج ازدهارها منارة حضارية، مصير يمكن تغييره وتداركه.

الكلمات المفتاحية: لخضر بن خلوف؛ الشعر الشعبي؛ الجزائر؛ الاحتلال الإسباني؛ مزغران؛ المقاومة؛ العثمانيون.

Abstract: The poet Lakhdar Benkhoulouf is one of the writers of the 8th century AH corresponding to the 15th century AD, his scientific potential and culture are elevated among Algerian scholars of different ages, his literary works such as the poems marked has become a reference to the historical sources of the history of the Algerian-Spanish conflict.

The emergence of the Ottoman caliphate as a powerful force for the Crusades brought down the Muslim world permanently, but unlike the fall of Andalusia to the hands of Spanish Christians in 1492 and its serious impact on the Maghreb coasts in general and Algeria in particular, was a shock to the conscience of the Islamic world in general, and in the conscience of Lakhdar Benkhoulouf in particular. This is why he deplores the Algerian cities occupied by the Spaniards, and recounts the plight of Algerians in their fierce struggle with them; Lakhdar Benkhoulouf was unique to other writers as he summed up the Algerian-Spanish conflict in the western region of Algeria in general and in the Mizgran region in particular in a poem that monitored the most important characteristics of the battle, as reflected in the spirit of jihad and resistance of the inhabitants of the region by referring to the personalities who participated in the battle.

Lakhdar Benkhoulouf 's main purpose is not to study this page of Algerian history is not to list achievements and sing with glory and heroism, but rather to explain the pattern of events and to draw values and lessons from them in order to correct errors, and to form a holistic vision that allows the future to look to the future.

Keywords: Lakhdar Benkhoulouf; Popular Poetry; Algeria; Spanish Occupation; Mezgran; Resistance; Ottomans.

مقدمة: لم يتخلف الشعر العربي عن تسجيل بعض الأحداث المهمة للعرب قبل الإسلام والعرب والمسلمين بعده؛ وبهذا كان الشعر أحيانا يقوم مقام الوثيقة التاريخية على قدر ما يمكن للنص الشعري أن يقوم به من رواية وأخبار، وعلى قدر ما يستطيع الشاعر نفسه من التوفيق والتنازل والتعبير، بل نستطيع أن نؤكد بأنه هناك الكثير من النصوص الشعرية كانت مصادر توثيقية مهمة لكثير من الأحداث التاريخية. ويمكن أن يشار بهذا الصدد، إلى ما كان يسمح به الشعر من روايات تاريخية بشأن أهم الأحداث التاريخية في العصور الإسلامية المتتابعة كما فعل المتنبي في وصف معركة سيف الدولة الحمداني، وكما فعل أبو تمام في وصفه لفتح العمورية على يد المعتصم، وفي هذا المجال لم يتخل الشعر العربي عن هذا الدور في تسجيل بعض الأحداث التاريخية المهمة التي مرت بها الأمة الإسلامية في العصور المختلفة. وبما أن الجزائر جزء لا يتجزأ من العالم الإسلامي فقد واكب الشعر هذا التطور، إذ تميز بطابع خاص، لاسيما في الفنون الشعرية الذي امتازت بالوصف ورثاء المدن والاستنجاد بالرسول صلى الله عليه وسلم وكبار الصحابة، والحث على مقاومة العدو واسترجاع الأرض المغتصبة.

فقد ظهر مجموعة من الشعراء الجزائريين عبر حقبة تاريخية مختلفة حملوا على عاتقهم تدوين أحداث مهمة من تاريخ بلادهم، فرصدوا لنا واقع المجتمع الجزائري أيام أفراحه وأحزانه، انتصاراته وانكساراته ومن بين هؤلاء نذكر الشاعر لخضر بن خلوف، إذ يعد هذا الأخير من بين أشهر الشعراء الجزائريين الذين حملوا على عاتقهم رسالة تدوين القضايا التي حدثت في البلاد زمنا طويلا، فخطب بحياته من أجلها، وأوقف ابداعاته على الدفاع عنها. ومن بين أهم ما اشتهر به هذا الشاعر ابداعه في شعر المقاومة، لاعتقاده الجازم أنها قضية شعب يجاهد في سبيل تحرير أرضه وطرده الغاصبين منه، ويمكننا أن نقول أنه لم يحارب بشعره في الواقع من أجل تحرير بلاده، فحسب بل إنه حارب من أجل القيم الانسانية؛ ومن بين أهم مآثر لخضر بن خلوف الشعرية نذكر قصيدة مزغان، باعتبارها وثيقة تاريخية لا يمكن للمؤرخ الاستغناء عنها ذلك أنها رصدت لنا المسار التاريخي

للصراع الذي خاضه الجزائريون ضد المحتل الاسباني خاصة على مستوى الغرب الجزائري الذي عانى لمدة زمنية طويلة من هذا الاحتلال.

إن الفكرة المولدة لهذا الموضوع ليس الغرض منها عرض كرونولوجي للأحداث التاريخية، بقدر ما هي عبارة عن محاولة منا للكشف عن "آليات مقاومة سكان مزغران عموما والغرب الجزائري على وجه الخصوص للاحتلال الاسباني وأنماطه وأشكاله من خلال تقنيات وآليات الاستراتيجيات عدة، محاولين تحليل الأبعاد النفسية والثقافية التي دفعت شخصية مثل لخضر بن خلوف اعتماد ما اصطلح عليه "أدب الجهاد" في مقاومته للغزو الاسباني هذا من جهة، وفي تحفيزه وتشجيعه للجهاد من جهة أخرى، خاصة وأنه وظف اللغة العامية كوسيلة اتصال وتواصل بينه وبين اخوانه من الجزائريين.

وبهذا فنحاول من خلال هذا البحث التعريف بالشاعر لخضر بن خلوف وتبسيط الضوء على واقعة مزغران من خلال شعره. وعليه فإن هدفنا الأول من إخراج هذا الإنتاج العلمي هو التعريف بالنضال المتواصل لعلماء الجزائر وعلى رأسهم لخضر بن خلوف، وتوضيح جدور المجتمع الجزائري المتأصلة في الهوية الإسلامية، وتبسيط الضوء على القوى الدافعة لانبعاثه، والتعريف بمختلف الاجتهادات والابداعات التي أنتجها هذا الأديب في مقاومته لوحشية وبربرية الاحتلال الاسباني.

وبما أن كل بحث يحاول من خلاله الباحث التأسيس لفكرة ينطلق من خلالها حتى تتبلور لتصبح دراسة قائمة بذاتها، فكان لابد له أيضا أن ينطلق من اشكالية تكون الأساس للبحث بحيث اعتمدنا في معالجة موضوعنا هذا على إشكالية عامة تمثلت فيما يلي: ما صورة معركة مزغران في شعر لخضر بن خلوف؟ وقد تفرعت عن هذه الاشكالية مجموعة من التساؤلات لعل من أهمها نذكر: من هو لخضر بن خلوف؟ وما وفيما يتمثل انتاجه الشعري؟ وهي أهم المضامين التاريخية الماثلة في القصيدة قيد الدراسة؟ وكيف ساهمت هذه الحقائق التاريخية في تعزيز التراث الجزائري؟ وهل تمكن الشاعر من رصد الواقع التاريخي الحقيقي لمعاناة المنطقة مع الاحتلال الاسباني؟

وللاجابة على الاشكالية المطروحة أعلاه وما تفرع عنها من أسئلة اتبعنا المنهج التاريخي الذي يعتمد على تحليل وتفسير الأحداث الماضية، فيصف عناصرها ويحدد مسبباتها ويسرد

نتائجها، مستعينين بتلك المعلومات لاستيعاب الواقع التاريخي، مستنبطين عدة نتائج محللة ومدروسة وفق خطوات علمية متسلسلة.

2- الإطار العام للقصيدة: يعد لخضر بن خلوف من أعلام القرن الحادي عشر الهجري الموافق للقرن السادس عشر ميلادي، فامكاناته العلمية وثقافته الموسوعية بؤته مكانة كبيرة بين شعراء الجزائر باختلاف عصورهم، فأضحت قصائده لا تقل أهمية عن تلك التي دونها غيره ممن سبقوه في هذا الميدان؛ ذلك أنه احتذى حذوهم واستنهج سبيلهم. فالواقف على إنتاجه الشعري يلاحظ أنه كان موسوعة تبحر في شتى العلوم، مما سمح له بأن يحتل مكانة بارزة ليس بين شعراء جيله فقط، وإنما حتى مع الذين برزوا من خلفه.

عايش لخضر بن خلوف فترة تمازج فيه انتصار دولة الإسلام في جهة من واخفاها في جهة أخرى؛ فظهور العثمانيون كقوة رادعة للحملات الصليبية جعل العالم الإسلامي يتفادى التهاوي نهائيا، ولكن بالمقابل سقوط الأندلس على يد النصارى الأسبان بسقوط آخر معقل إسلامي هناك غرناطة سنة 1492م⁽¹⁾ شكل صدمة في ضمير العالم الإسلامي عموما. ولم يتوقف الأمر عند هذه المحطة فقط بل واصل الأسبان حربهم الصليبية ضد دول المغرب العربي وعلى رأسهم الجزائر، هذه الأخيرة عاشت مأساة حقيقية عند كل الجزائريين عموما ولخضر بن خلوف على وجه الخصوص. لهذا نجده في أشعاره يرثي المدن الجزائرية التي سقطت على يد الأسبان الكاثوليك.

كما أرخ لمحنة الجزائريين وهم يواجهون هذا العدو الصليبي؛ وقصيدته الموسومة بـ: "مزغران"⁽²⁾ خير دليل على ذلك. إذ ضمت القصيدة تسعة وتسعين بيتا وتعتبر من بين المصادر التاريخية الهامة التي أرخت للواقعة⁽³⁾ بحكم أن صاحبها شارك في المعركة، وبالتالي فقد كان شاهد عيان على الحدث التاريخي. فقد انفرد الشاعر لخضر بن خلوف عن غيره من الشعراء أنه اختصر الصراع الجزائري الأسباني في موقعة مزغران في قصيدة شعرية نظمها لتكون بمثابة وثيقة تاريخية رصدت جوانب كثيرة من هذا الصراع.

فقد كان الغرض الأساس عند الشاعر من دراسة هذه الصفحة من تاريخ مقاومة الجزائريين للاحتلال الأسباني ليس سرد المنجزات والتغني بالأمجاد والبطولات، بقدر ما هو تفسير لانساق الأحداث واستخلاص القيم والعبر منها قصد تدارك الأخطاء، وتكوين نظرة

شمولية تمكن من استشراف المستقبل، ففي فكر الشاعر أن نكبة الاحتلال الاسباني لمستغانم على وجه الخصوص والمدن الساحلية عموما، مصير يمكن تغييره وتداركه.

1-2- مولده ونشأته: اسمه الكامل الأكحل⁽⁴⁾ بن خلوف⁽⁵⁾ وفي هذه الأبيات الشعرية التي نظمها إشارة إلى اسمه فكتب يقول⁽⁶⁾:

رُوحِي فِي الْجَنَّةِ ائْتَشَاهِدْكَ	وَالْمَلَائِكَةَ وَقُوفُ
وَالْحُورَاتِ ائْتَقُولُ شَاغِرْكَ	الْأَكْحَلُ وَجَدُهُ الْخُلُوفُ

أما عن أصله فهو الأكحل بن خلوف عيسى بن يعقوب الشريف بن عبد الله بن عمران بن صفوان بن ياسر بن موسى بن يحيى بن موسى بن سليمان بن عيسى بن ادريس الأصغر بن ادريس الأكبر بن عبد الله الكامل بن الحسن البسط بن علي والسيدة فاطمة الزهراء رضي الله عنهم وأرضاهم بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم⁽⁷⁾. وقد دون في إحدى قصائده حول رجوع نسبه لآل البيت ما نصه⁽⁸⁾:

اللَّهُ يَرْحَمُ قَائِلَ الْأَبْيَاتِ	الْأَكْحَلُ وَ اسْمُ بُوهُ عَبْدُ اللَّهِ
الْمَشْهُورُ أَصْلُهُ مِنَ الْفَيَّاتِ	مَغْرَاوِي جَدُّهُ رَسُولُ اللَّهِ

يعتبر لخضر بن خلوف من أعلام الأدب والشعر في الجزائر أثناء العهد العثماني، شخصية متميزة فكريا، توزع هواها بين أقطار الجزائر شرقا وغربا، لم يثبت في ترجمة لحياة الشاعر تاريخ محدد لميلاده، ولكن بالمقابل رجح المؤرخون أنه ولد أواخر القرن الثامن الهجري الموافق للقرن الخامس عشر ميلادي⁽⁹⁾؛ نشأ بوادي (الظهرة) أي جبال مليانة وشرشال⁽¹⁰⁾ ومدينة تنس والهضاب والسهول التي تمتد إلى مصب نهر شلف بضواحي مدينة مستغانم، هذا ما أكدته هذه الأبيات⁽¹¹⁾:

بَعْدَ الصِّيَامِ رَانِي وَارِثُ	بُقَعَاتِ فِي هَضَابِ الظَّهْرَةِ
مِنْهُمْ أَجْدُودُ تَمَّ سَبَقَتْ	وَالْيَوْمَ زَعْرَعُوا يَا حَضْرَةَ

عرفت منطقة هضاب الظهرة منذ بداية العهد العثماني في إيالة⁽¹²⁾ الجزائر⁽¹³⁾ مشادات قبلية عنيفة بين القبائل والسلطة الحاكمة على مستوى المنطقة⁽¹⁴⁾، التي كانت تحت حماية الإسبان، هؤلاء ولوا الأمير يحيى الزياني عليها متخذاً من مدينة تنس عاصمة له⁽¹⁵⁾، وذلك منذ عام 1517م، ما أجبر عائلة الشاعر للهجرة ومغادرة المكان بحثاً عن الأمن

والأمان، فانتهى بها المطاف للاستقرار في مزعران أين قضى بن خلوف شبابه مع عائلته وهذا ما أكدته عندما نظم أبياتا في قصيدته المشهورة "بقاوا بسلامة" فجاء فيها ما يلي⁽¹⁶⁾:

حَصْرَاهُ وَبَيْنَ يَرْجَعِ الظُّهْرُ مِنْ قَائَتْ	مِنْهُمْ قَبِيلَتِي وَأَهْلِي وَالْعُشْرَانُ
حَصْرَاهُ عَلَى الدُّنْيَا كُلِّي مَا كَانَتْ	عَدِيَتْ شُبُوبُ صُغْرِي فِي مَزْعَرَانُ

تكونت أسرة الشاعر من أمه المدعوة كلة التي تحدث عليها في قصائده يدعو لها بالرحمة والمغفرة من ذلك قوله⁽¹⁷⁾:

أَرْحَمْنِي وَأَرْحَمِ الْعُجُوزُ أُمِّي كَلَّةَ	وَأَرْحَمِ الْأَجْدَادُ كَافَّةَ وَالْمُسْلِمِينَ
--	---

كما ضمت عائلته الصغيرة زوجته المسماة قنو وأطفاله الأربع محمد وبلقاسم والحبيب وابنته حفصة؛ وقد سماهم كذلك تكريما لرسول الشفاعة محمد صلى الله عليه وسلم كما يشير في ذلك في هاته الأبيات⁽¹⁸⁾:

الْحَبِيبُ وَبَلْقَاسَمُ دُؤْلُ أَحْقَائِيضْكَ	كَأَنَّهُمْ غُصْنٌ عَلَى شَجَرَةٍ مِنَ اللَّقَاحِ
سَمِيَتْ مُحَمَّدٌ وَأَحْمَدُ عَلَى اسْمِكَ	مُنِينَ نَلْغِي بِأَسْمِهِمْ تَنْطَفَى الْأَجْرَاحُ

كما كان من ضمن العائلة الشاعر رجل يدعى (جرادة) كان رفيقا له، إذ عاشه مدة من الزمن ذكره الاخضر بن خلوف في قصائده فقال عنه ما نصه:

يَا رَبِّي لَا تَخَيِّبْ مَسْكِينَ أَجْرَادَهُ	ذَنْبُهُ غَزِيرٌ رَاجِلٌ هَامِلٌ مَقْدُوفٌ
بُجَاهَ مَا عَمَلْتُ لَهُ ذُرْعِيَا وَسَادَةَ	مِنْ اللَّيْلِ لِلصَّبَاحِ عَيْنِي فِيهِ أَتَشُوفُ

2-2- الانتاج الأدبي للخضر بن خلوف ووفاته: تلقى الشاعر تعليمه الأول في الكتاتيب مثله مثل بقية أطفال الجزائر⁽¹⁹⁾، أين تعلم مبادئ اللغة العربية وحفظ القرآن الكريم، وقد شهد له شيوخه بأنه كان سريع الحفظ وكثير التركيز مما خوله تحصيل العلوم فيما بعد على يد مشايخ وفقهاء المنطقة. فأخذ عنهم الكثير من العلوم نذكر أهمها: الحديث والفقه حتى أصبح يكنى بشيخ الشيوخ وفقهه الفقهاء وامام الأئمة، وبهذا تبوأ مكانة مرموقة بين الأوساط الشعبية في عصره، فنال احترامهم وتقديرهم وتبجيلهم لسعة علمه وتقواه⁽²⁰⁾.

نظم الشاعر العديد من القصائد تنوعت ما بين أدب الجهاد والمدح والثناء⁽²¹⁾، حددها محمد بيخوشة بحوالي 31 قصيدة. ومن بين أهم ما خلفه من إرث شعري قصيدة

الوصية أو المعروفة بـ"تبقوا بالسلامة" وهي عبارة عن ترجمة ذاتية لشخصه ضمنها قصة حياته وأملى وصاياه على أبنائه بعد أن بلغ من العمر عتيا؛ ومن بين ما ورد فيها نذكر⁽²²⁾:

أَنْتَ يَا أَحْمَدُ نَهَلَيْ فِي خَيْمَتِي	أَنْتَ كَبِيرُ دَارِي وَأَنْتَ مُوَلَّاهَا
وَ أَنْتَ يَا مُحَمَّدُ خُذْ أَدِي سَبَحَتِي	يَهَا تَفْتَكِرْنِي وَقَفْتُ أَنْ تَقْرَاهَا
وَ أَنْتَ يَا بَلْقَاسَمُ عَمَمُ بُعْمَامَتِي	اتَّكُونُ لِيكَ هَيْبَةً لِي يَرَاهَا
وَ أَنْتَ الْخَبِيبُ وَلَدِي نَطْفِي مِنَ الْكِبَادِ	خُذْ شَمْلَتِي وَبِرَّائِسَ الصُّوفِ

كما نظم قصائد في مدح الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم فجاء في البعض منها ما نصه⁽²³⁾:

يَا رَسُولَ اللَّهِ ذِي مِنْ أَجْدُودُنَا اسْأَلُكَ	نَمْدُحُوكَ بِالْقَلْبِ وَ النِّيَّةِ يَا يَتِيمَ
---	---

ويتضح لنا أيضا من خلال انتاجه الشعري أنه كان مطلعا على أئمة الفقه وأصوله حيث يذكر الأغلبية منهم كذكره لأبي القاسم القشيري صاحب الرسالة الصوفية وابن القصار الذي هو من شيوخ المالكية صاحب كتاب عيون الأدلة في أصول الفقه، وعبد المالك بن الحبيب الذي بث مذهب مالك في الأندلس ومدون كتاب الوضیحة، والحضرمي أو الحضرماني صاحب تعبير الرويا وتلميذ الكرمانی تقي الدين ابن دقيق العبد المسعى في قصيدة الشاعر بابن الدقاق، وأبي التواري محمد بن ادريس المطليبي الشافعي والزاهدة العدوية والمقري صاحب نفح الطيب كما يذكر الشاعر في هذه القصيدة، وفي غيرها من القصائد الإمام مالك ابن أنيس صاحب المذهب، وأحمد ابن حنبل، وأبي حنيفة، والجنيدى، والإمام البخاري والإمام مسلم وغيرهم من الأعلام والفقهاء. عاش الشاعر على ما يزيد عن مائة وخمسة وعشرين سنة قصيرة أي ما يعادل مائة وواحد وعشرين سنة شمسية إذا اعتبرنا أن السنة القمرية تنقص بحوالي أحد عشر يوما من السنة⁽²⁴⁾.

2-3- بيئة الشاعر وانعكاساتها على إبداعه الشعري: عاش الشاعر ظروفًا قلما نجدها استثنائية، ذلك أنه عاصر ثلاثة أحداث تاريخية مهمة: أما الأولى فتمثلت في الهجرات الأندلسية⁽²⁵⁾ إلى السواحل الجزائرية بعد سقوط غرناطة⁽²⁶⁾، وما انجرت على هذه الظاهرة التاريخية من آثار مست كل الجوانب الاقتصادية، اجتماعية وثقافية على حد سواء، هذا على مستوى اسبانيا عموما⁽²⁷⁾ أو المدن الساحلية الجزائرية على وجه الخصوص⁽²⁸⁾. أما

الحدث الثاني فهو الغزو الاسباني على السواحل الجزائرية بداية بالمرسى الكبير⁽²⁹⁾ سنة 1505 م⁽³⁰⁾، فوهران عام 1509 م⁽³¹⁾، ثم بجاية سنة 1510 م⁽³²⁾، ثم تتالي سقوط المدن الواحدة تلو الأخرى سواء طواعية أو كرها تجنبا للمصير نفسه الذي آل إليه سكان هاته المدن⁽³³⁾.

عقب هذه الأحداث، ولأن الجزائر في تلك المرحلة الحرجة من تاريخها كانت تفتقر لوحدة سياسية واجتماعية، وقوة عسكرية، اضطرت للبحث عن منقذ لها يدفع عنها هذا الخطر الصليبي؛ فلم تجد أمامها سوى الخلافة العثمانية التي كانت تمثل آنذاك قوة عسكرية وسياسية، خاصة وأنها حملت على عاتقها مهمة الدفاع عن الأراضي الإسلامية من التحرشات الصليبية⁽³⁴⁾. على هذا الأساس استنجد الجزائريون بالاخوة ببروس⁽³⁵⁾ المتواجدين في جزيرة جربة⁽³⁶⁾ سنة 1504 م⁽³⁷⁾، هؤلاء مثلوا الخلافة العثمانية على مستوى حوض البحر الأبيض المتوسط⁽³⁸⁾؛ فبعد أن وصلت أخبار جهادهم البحري وانتصاراتهم إلى مسامع سكان الجزائر، لم يترددوا في طلب العون منهم، لكن سرعان ما تحول هذا الدعم العسكري إلى الحاق الجزائر بالخلافة العثمانية سنة 1519 م وارسال فرمان⁽³⁹⁾ يعين من خلاله خير الدين⁽⁴⁰⁾ باي لارباي⁽⁴¹⁾ عليها ليدبر شؤونها.

بعد أن أصبحت الجزائر اية عثمانية تم تزويدها بعتاد حربي وبحري، ووحدات من الجيش⁽⁴²⁾ الانكشاري⁽⁴³⁾؛ كما عمد حكام الجزائر بداية من خير الدين إلى رسم معالم وأسس الدولة الجزائرية الحديثة، فأقيمت المؤسسات السياسية والعسكرية والاقتصادية لتنظيم شؤون البلاد وتسيير مصالح العباد، ووضعت التقسيمات الجغرافية لتمكينها من السيطرة على زمام الأمور خاصة وأن الجزائر عرفت باتساع مساحتها الجغرافية. تمثلت هذه التقسيمات في دار السلطان⁽⁴⁴⁾ وعاصمتها مدينة الجزائر وثلاث بياليك⁽⁴⁵⁾، بايلك تيطري⁽⁴⁶⁾، وبايلك الغرب⁽⁴⁷⁾ وبايلك الشرق⁽⁴⁸⁾.

أما الحدث الثالث فتمثل في سقوط المملكة الزيانية على يد السلطة العثمانية سنة 1555 م؛ والأمانة التاريخية تقتضي القول بأن زوال السيادة الزيانية على الجزائر بدأت بسقوط المدن الجزائرية على يد الاسبان عندها أعلنت المملكة الزيانية خضوعها للاسبان⁽⁴⁹⁾؛ متحالفة معهم ضد العثمانيين الممثلين في شخص الاخوة ببروس عروج⁽⁵⁰⁾،

فخير الدين، ثم فيما بعد حسن أغا⁽⁵¹⁾، فدخلت معهم في حرب شرسة انتهت بزوال ملكها⁽⁵²⁾.

كل هذه الأحداث والمستجدات أثرت في التكوين السياسي والابداعي للخضر بن خلوف، إذ بالإضافة إلى أنه كان شاعرا، فقد كان أيضا مجاهدا وفارسا شجاعا شارك في عدة معارك أهمها معركة شرشال⁽⁵³⁾ وقد دون أحداثها في قصيدة شعرية بعض ما جاء فيها⁽⁵⁴⁾:

شَابَ رَأْسٌ مِنْ قُوَّةٍ لَعِيَهُ لَحْمَالٌ	مُسْطَرِّينَ الْقُرْسَانَ مَاشِيَةً وَجَائِيَةً
وَالْخُلُوفِي يَنَادُهُ وَسَائِسٌ فِي الْبُطْلَانِ	وَالْعَرَبُ بِسَنَجَائِقِ وَالْقَوْمُ غَازِيَةً

ثم يضيف قائلا⁽⁵⁵⁾:

فِي جَبَلِ شَرْشَالٍ حَطِينًا لُقْتَالٌ	لَحَقَ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ أُمَمٌ بَاكِيَةً
مَاصِرًا ذَاكَ الْيَوْمِ عَلَى الْمُجَاهَدَةِ	كُلُّ قَارِسٍ مَلْتَمِيٍّ فِي دُمُو يَعُومُ
مِيَةً وَخَمْسِينَ وَالنَّاسُ شَاهِدَةٌ	قَتَلَتْهَا مِنْ كَافُرِينَ الرُّومُ

ونظرا لإخلاصه وتفانيه في الدفاع على الوطن ورد العدوان الإسباني عليه، فقد عينه خير الدين أغا⁽⁵⁶⁾ خيال، كما كلفه بتجنيد المجاهدين، وإقامة الصلح بين القبائل المتنافرة ودعوتها إلى توحيد الصفوف بهدف طرد المحتل الإسباني من الأراضي الجزائرية، وقد كتب أبياتا حول الموضوع مما جاء فيها⁽⁵⁷⁾:

بَاشَا خَيَالٌ كُنْتُ نَهَاتِي مِنَ الْعَرَبِ	فِي حِكْمَةِ خَيْرِ الدِّينِ الْعَلَّالِ الْأَصِيلِ
---	---

4-2- التعريف بالاطار الزمني والمكاني للقصيدة: ارتبط الشاعر الشعبي الجزائري بقضايا وطنه وأمته دائما ومن بينهم شاعرنا لخضر بن خلوف، فقاسمها الأفراح والأحزان، الانتصارات والانكسارات، كما ساهم بشعره في نصرة القضايا الوطنية والإنسانية العادلة، ولاسيما في الفترات الحرجة والصعبة التي مرت بها الأمة الجزائرية، فتدافع الشعراء الشعبيون في كل جهات الوطن إلى تنظيم الصفوف وتجنيد الناس لمحاربة المحتلين.

لم يهتم الشاعر من خلال اعتماده لهذه القصيدة كمصدر يؤرخ لواقعة مزغران أن يضبط التاريخ بالسنوات سواء كانت هجرية أو ميلادية، وإنما كان همه الأساس والوحيد هو نقل أحداث هذه المعركة والتغني بالنصر حتى يزرع الأمل في نفوس كل الجزائريين خاصة

المناطق التي بقيت تحت الاحتلال الاسباني. ولكن بالعودة إلى مختلف الدراسات التاريخية التي اهتمت للتأريخ للفترة قيد الدراسة فإن المعركة وقعت بتاريخ 26 أوت من سنة 1558 م بين الجيش الاسباني والجيش العثماني بمساعدة القوات المحلية⁽⁵⁸⁾.
أما فيما يخص التعريف بالموقع الجغرافي للمعركة فقد صرح بها صاحب القصيدة بطريقة مباشرة تبينت في الأبيات التالية⁽⁵⁹⁾:

يَا سَائِلِي عَنْ طُرَاذِ الزُّومِ	قِصَّةُ مِزْعَرَانٍ مَعْلُومَةٍ
------------------------------------	---------------------------------

3- النقد الأدبي للقصيدة: من المتعارف عليه تاريخيا أن أعلام الجزائر ومن بينهم شاعرنا لخضر بن خلوف قد اعتمدوا، للحفاظ على هويتهم الإسلامية وذاكرتهم العربية، داخل مختلف التحولات الثقافية التي أخضعوا إليها؛ على إنتاج أدبيات متعددة ومختلفة، واستهلاكها باستمرار؛ كما عملوا ضمن هذا المضمار، على العودة الدؤوبة إلى أجزاء دالة من التراث الأدبي والديني العربي الإسلامي. ومن انتاجهم الشعري، شعر الاستغاثة، والسير النبوية والمدح، وشعر المقاومة؛ فكان هذا الانتاج كفيلا بدغدغة تلك الهوية، وإنعاش هذه الذاكرة، وإذكاء الأمل في مقاومة كل أشكال القضاء المبرم عليها. إذ استطاع هذا الانتاج الشعري تنميط متلقها داخل اختيارات ذوقية وفنية مخصصة، تحدد بدورها تبعاً لذلك، وتأسس لذات الأدب وتطوره ضمن استراتيجية ثقافية وحضارية.

3-1- الهيكل العامة للقصيدة: تعتبر لغة الشعر المادة الأولية له، وقد ربط النقاد بين الأسلوب والمضمون، فذهبوا إلى أن كل موضوع يناسبه شكل معين من أشكال التعبير الشعري، وأفضل الألفاظ ما كان سمحاً سهل مخارج الحروف من مواضعها، والسهولة مع عدم الابتذال عنصر مهم في إبداع المبدعين، والمشكلة بين اللفظ والمعنى قيمة جمالية؛ لأنها تؤدي إلى حسن الشعر وحلاوته وقوة تأثيره في نفس المتلقي. فللصورة الشعرية أهمية كبرى مما تمثله من قيم إبداعية وذوقية وتعبير متوحد مع التجربة ومجسد لها، وهذا يعني أن الشعر في جوهر بنائه ليس مجرد محاولة لتشكيل صورة لفظية مجردة لا تتغلغل فيها عاطفة صاحبها، فالشاعر الأصيل يتوسل بالصورة ليعبر بها عن حالات لا يمكن له أن يتفهمها ويجسدها بدون صورة.

وبهذا الفهم لا تصبح الصورة شيئا ثانويا يمكن الاستغناء عنه أو حذفه، وإنما تصبح وسيلة حتمية لإدراك نوع متميز من الحقائق تعجز اللغة العادية عن إدراكه أو توصيله، وتصبح المتعة التي تمنحها الصورة للمبدع قرينة الكشف والتعرف على جوانب خفية من التجربة الإنسانية، ولذلك فإن الصورة الشعرية هي وسيلة الشاعر في التعبير عن عالمه بمختلف مصادره الواقعية والعقلية، وهذا ما ما لمسناه في نص القصيدة قيد الدراسة. إن هيكل القصيدة من العناصر الأساسية فيها إلى جانب الموضوع والتفاصيل والوزن، ووظيفة الهيكل أنه يوحد القصيدة ويمنعها من الانفلات، والموضوع الواحد لا يفترض هيكلًا معينًا وإنما يمكن أن يصاغ في مئات الهياكل بحسب اتجاه الشاعر وقدرته الفنية والتعبيرية، ولكن الهيكل الجيد له صفات أربع: التماسك والصلابة والكفاءة والتعادل. فهناك نوعان من الأسلوب: التعبيري حيث يقدم الشاعر تجربته تاركًا للآخرين استشفاف ما فيها من أفكار وأهداف، وما يختلج في نفس صاحبها من عواطف، وهذا غالبًا ما يعتمد على الخيال والتصوير. والأسلوب التقريري: حيث يقدم الشاعر تجربته تقديمًا مباشرًا، فتفهم بسرعة، ولا يجد المتلقي معاناة في معرفة الأفكار، وهذا هو الأسلوب المعتمد في نص القصيدة قيد الدراسة، وهذه بعض أبيات الدالة على ذلك فجاء في مطلع القصيدة⁽⁶⁰⁾:

يَا فَارِسَ مَنْ تَمَّ جِثُّ الْيَوْمِ	عَيْدُ أَخْبَارِ الصَّحِّ مَعْلُومَةٌ
يَا عَجَلَانَ رِيضِ الْمَلْجُومِ	رَأَيْتُ اجْنُودَ الشُّومِ مَلْمُومَةٌ
يَاسَيْلِي عَنْ طَرَاذِ الرُّومِ	قِصَّةَ مَزْغَرَانَ مَعْلُومَةٌ

ثم يضيف في موقع آخر⁽⁶¹⁾:

حَزَنَاهُمْ لِلصُّورِ ذَاكَ الْيَوْمِ	تَسْعَةُ أَلْفٍ ابْقَتْ مَعْلُومَةٌ
مَنْ حِيطَ الدَّشْرَةُ لَحُوشِ الْبُومِ	عَشْرُ أَلْفٍ أَمْشَاتُ مَخْطُومَةٌ
أَكْبَرُ الْبَيْفِ الْكَلْبُ رَأْسُهُ طَارُ	وَالرَّقَبَةُ مِنَ الْعُنُقِ مَقْطُوعَةٌ
ضَرْبُهُ شَاطِرٌ حَطَّ بِالْمَطْيَارِ	يَلْغِي لَهُ بِاصْوَاطِ مَنْرُوعَةٌ

أما الصورة النفسية في القصيدة لا تختلف عن غيرها من الصور في أدوات التصوير التي تعبر بها، فهي قد تكون صورة مباشرة أو بيانية أو رمزية، ولكنها تختلف في تعبيرها عن المشاعر التي تنطوي عليها نفس الشاعر، وترسمها في صورة فنية تجسد خفاياها وتعرضها في

قالب أدبي؛ فالتفكير بضياح الوطن والخوف من انتصار الكفار كما وصفها الشاعر كان مما راود هذا الأخير على وجه الخصوص والجزائريين عموما في كل مكان وفي كل زمان، بوصفها نهاية يمكن لها أن تحدث على ضوء المستجدات التي طرأت على أرض الجزائر عموما وموطن الشاعر على وجه الخصوص.

وقد اشتمل هذا الشعر على ثلاثة اتجاهات للخوف، أولها خوف الجزائريين من ضياع هويتهم الإسلامية في ظل الرهانات التي كانوا يعيشونها، وثانيها فقدانهم لوطنهم، وثالثها الخوف من بطش وتنكيل السلطات الأسبانية بهم. إذ كشفت الدراسة أن هذه الاتجاهات الثلاثة وجدت في القصيدة قيد الدراسة، ذلك أن الجزائريين كانوا محاصرين بالخوف سواء أكان خوفا إيجابيا يؤدي إلى العمل على مقاومة الاحتلال الأسباني بكل أشكاله، أم خوفا سلبيا يؤدي إما إلى التذلل والتخضع للسلطان العثماني وغيره. وهذا ما يؤكد في الأبيات التالية⁽⁶²⁾:

احتَاطُوا بِالْأَمِيرِ شَنْظَاطُوشَ	بِالشَّيْعَةِ وَالْقُوسِ وَالْبَطَاشِ
انْتَدَهُوا وَتَخَلَّفُوا بَجِيُوشَ	جَيْشُ الْقُنْتُ ⁽⁶³⁾ الْكَافِرُ الْعَشَاشُ ⁽⁶⁴⁾

كما دل هذا الشعر على إسهام كل فئات المجتمع وطبقاته فيه، ولم يستطع الكثيرون إخفاء خوفهم من الهزيمة، فضلا عن تأكيده أن الشعر بقي صالحا للتعبير عن المشاعر والتأثير فيها، وكان رسولا مسموعا دائما وناجح المسعى أحيانا لحشد الهمم ونشر روح المقاومة وعدم الاستسلام في نفوس الجزائريين. ومن خلال هذه الأبيات تتوضح لنا بعض الفئات التي شاركت في المعركة⁽⁶⁵⁾:

جَاؤَا شَيْوُخَ سُويْدَ لِلْسُلْطَانِ	وَفِيهِمْ أَبُو بَكْرٍ وَمُحَمَّدُ
قَالُوا لَهُ يَا أَمِيرُ لَا تَلْيَانُ	لَا دِينَ إِلَّا دِينَ مُحَمَّدُ
اسْتَشْرَحَ سُلْطَانًا وَلِيَانُ	جَاءَهُ قَوْمُهُ زَاهِيَةً تَرَعْدُ
صَبَحُوا فِي حُوضَةِ التَّرَاسِ مَكُومُ	نَزَلُوا ذَا حَبِيَا وَذَا حَيْمَةَ

وبهذا فقد صور لنا الشاعر حالة دقيقة من حالات النفس الحزينة المصابة، فهذه النفس يتحقق عليها وقوع الحزن والرغبة في تنفيسه، ولذلك إذا ما حصل ذلك وتهيأت نفس

الشجاع القوي التي هدها الحزن، فإنه يتماسك ويتجلد، حينما تأتيه المعونة والنصرة ضد البكاء والحزن، وهذه القوة ما هي إلا الصبر. وبرع الشاعر في استخدام ذلك.

2-3- أغراض القصيدة: يمكننا إدراج هذه القصيدة ضمن غرضين أحدهما إعلامي والآخر تحفيزي؛ فأما الأول فنجد في الكثير من المواقع في نص القصيدة، ومن النماذج الدالة على ذلك نذكر ما نصه⁽⁶⁶⁾:

عِنْدَ طُلُوعِ الْفَجْرِ حَلَّ الْكَارُ	وَأَزْتَعَبُوا بِفَضَائِلِ الْجَمْعَةِ
لِيَهُمْ جَيْشٌ غَزِيرٌ كَالرُّخَارِ	وَاحْتَلَّ الْمَيْدَانُ بِالسُّرْعَةِ
جَيْشُ الْكُفْرِ ضَحَى عَلَيْهِ عَسَارُ	مَنْ يَغْنِيهِ الصُّورُ لَلْ مَنْعَةِ
فِيهِمْ قُوَّةُ الْهِنْدِ وَالْمُسُومُ	لَا حَتَّ لِيَهْ أَفْرَاسُ مَلْجُومَةِ
الْمَيْتُ مَنَا مَسَى مَرْحُومُ	وَعِمَارُ الْكُفْرِ مَذْمُومَةُ

وبهذا نجد الغرض الأول من القصيدة يتجلى واضحا، فالعبارات الدالة على ذلك وردت كلها على شكل معان صريحة في قالب شعري غرضه التأريخ للواقعة، دون أي غموض أو إيهام.

أما الغرض الثاني فهو التحفيز، فبالعودة إلى نص القصيدة الشعرية التي تضمنتها نجدها قد اعتمد الشاعر من خلالها على تأكيد معانيها، وتحقيق هدفها، والتي جاءت حسب كل مقطوعة منها كما يلي⁽⁶⁷⁾:

رَجَعَ لِلْبَهْجَةِ يَوْمَ مَرْغَرَانُ	أَخْلَفَ الثَّارَ مِنَ الْعُدُوِّ تَحْقِيقُ
رَجَعَ لِلْبَهْجَةِ رَوْضَةُ الْبُلْدَانُ	بَغْنَائِمٍ شَتَّى وَنَصْرَ لَبِيقُ

أيضا نجده في الأبيات التالية:

اشْتَدَّ السُّلْطَانُ فِي طَلْبَتُو وَاشْتَكَى	مَسَى لَقَامُ الثَّعَالِي وَذَحَلَ
وَاسْتَفْتَحَ بِالْبِرِّ وَالْبَرَكَةِ	قُدَمَ جَاهُ الْمُصْطَفَى وَرَحَلَ
ظَلَّ يَسِيرُ وَنَاصَرَاتُ الْقَوْمِ	سُلْطَانُ عَادِلٌ طَاعَتُوا الْأُمَّةَ

3-3- الأبعاد التاريخية في نص القصيدة: لقد جعل لخضر بن خلوفا الشعر الشعبي أو ما يعرف بالشعر الملحون في تناول الجميع، كما عرف بذلك كبار شيوخ هذا الفن، والواقف عند نص القصيدة يدرك أنها خالفت بقية إنتاجه الشعري، ذلك أن هذا الأخير كان قد تأثر

إلى حد بعيد بنزعت الصوفية، فقصيدة مزگران نعثر فيها على فن الحماسة، فتوظيف الشاعر للكثير من المفردات الدالة على ذلك تؤكد من أن لخضر بن خلوف أراد من خلالها التأريخ للواقعة وهذا جدول يوضح بعض النماذج الدالة على ذلك:

المفردات الدالة على القتال الحربي	المفردات الدالة على التعداد البشري
الميدان- الخيول- المدرع- السيف- السفن- البحرية-	العرب- فارس- الجنود- جيش- رماة- القوم-

كما أن هذه الأبيات تؤكد ذلك⁽⁶⁸⁾:

جَيْشُ الْكُفْرِ ضَحَى عَلَيْهِ عَسَارُ	مَنْ يَغْنِيهِ الصُّورُ لِي مَنْعَةٍ
فِيهِمْ قُوَّةُ الْهَنْدِ وَالْمُسُومُ	لَا حَتَّ لِيهِ أَفْرَاسُ مَلْجُومَةٍ
الْمَيْتُ مِنَّا مَسَى	وَعَمَارُ الْكُفْرِ مَذْمُومَةٌ

ويختم قصيدته بالأبيات التالية

اللَّهُ يَرْحَمُ نَاسِخَ الْمَنْظُومِ	وَالْقَارِي وَالْمُسْتَمْعُ دَائِمًا
يَرْحَمُ نَاسَ أَخْيَارِ الْقَوْمِ	خَيْرَ الدِّينِ وَسَيْلَةَ الرَّحْمَةِ

4- البناء اللغوي للقصيدة: كان لهذا النص الشعري جملة من الخصائص الفنية، ومن ذلك أنه طويل نسبيا، إذ بلغ عدد أبياته تسعة وتسعين بيتا، وهو طول يحتاج إليه موضوع مثل الموضوع الذي تناوله الشاعر، إذ يتطلب السرد والرواية، فضلا عن حاجة الشاعر نفسه إلى البوح والتنفيس، فقد قدم الشاعر من خلال هذه القصيدة فكرته مجردة من أي صورة أو محسن، وذلك تعبير منه أن هذا الأمر معروف المشاهد، لا يحتاج إلى تأكيد أو تقريب.

كما يلاحظ أيضا أن الكلمات التي استخدمها الشاعر جاءت في الغالب متوسطة الطول والقصر، حيث إن الكلمات الكثيرة الحروف يمكن أن تعد بوجه عام من الكلمات الصعبة، لأنها تتطلب جهدا عضليا أكثر، فوق أنها قليلة الشيوع، فغلب عليها عموما السهولة والبعد عن الغريب، فالسياق العام والأسلوب في مجموعته يدل على غلبة السهولة لا تعميمه. فقد تم نظم القصيدة باللغة العامية الذي يندرج ضمن ما يعرف في حقل الدراسات الأدبية بالشعر الشعبي، فهذا الأخير بما له من متانة وقوة اللفظ، وما يحتويه من حكم، أصبحت له بمثابة

دستور يتناظرون عليه، ويلتمسون منه معرفة الصواب والخطأ⁽⁶¹⁾ فهو بذلك يشكل مقاومته الشعبية، وكل شاعر ممارس لهذا النوع لا يرجو من تدوين شعره سوى إيصال المعلومة كما عاشها.

كما نجد توظيف الكثير من المفردات الدينية وعرض بعض الشخصيات الدينية التي تنم على عقيدة الشاعر، هذا من جهة، وعلى توجهه السياسي الذي كان يرى من خلاله بأن الحرب مع الأسبان هي عبارة عن حرب صليبية بين الإسلام والنصرانية وهو صراع أزلي، من جهة أخرى؛ ولنا في هذا الجدول وقفة مع البعض منها:

الشخصية الدينية	المفردة الدينية
سيد الحسين- فاطمة- أبو بكر- محمد- مصطفى	الروم- النصراني- أعداء الدين- الكافر- الغرب
الثعالبي	الجهاد- الغزوة- النصر- الجنة- الفردوس- الإسلام

الخاتمة: لقد كان الشاعر لخضر بن خلوف في قصيدته قيد الدراسة مفعم الإحساس مملوء بالحيوية والحركة في وصفه للمعركة التي خاضها مع القوات العثمانية ضد الأسبان، وإن دل هذا الأمر على شيء فإنما يدل على أنه كان حاضرا للمعركة فذلك الوصف الدقيق لها لا يمكن أن يقوله إلا إذا كان شاهد عيان على أحداث تلك المعركة.

ومن خلال ذلك يتضح لنا أن القصيدة في مجملها من أول بيت إلى آخر بيت تحكمها ثلاث بنى رئيسية وهي: (الإرادة- المقاومة- الانتصار). فإرادة الشاعر لخضر بن خلوف التي لا تنقطع وعزمته الصلبة في إطاحة أعداء الإسلام، هذه البنية الرئيسية تقابلها بنية رئيسية أخرى، وهي فشل الأسبان وجبنهم عند مواجهة القوات العثمانية بمساعدة الجزائريين. وهي التي تجلت على طول القصيدة ولكن بالغوص في أعماقها نجد بأن الشاعر استطاع توظيف الأصوات والمفردات والتراكيب في إبراز الناتج الدلالي وذلك من خلال ظاهرة التقابل.

وعموما ما يمكننا استخلاصه من هذه الدراسة أن الشاعر الشعبي أدى دورا إعلاميا مهما في هذا المجال نظرا لغياب وسائل الاتصال والإعلام المتطورة في ذلك الوقت، كما قام برصد مختلف الأحداث التي شهدتها الجزائر، بل وسجلها في الذاكرة مما سمح لنا باعتماد

بعض الأشعار الشعبية كوثيقة تاريخية لبعض الحوادث التاريخية المهمة التي شهدتها الوطن، ومما يندرج في هذا الإطار القصيدة قيد الدراسة.

الهوامش:

- 1- من الحقائق التاريخية المتعارف عليها أن سنة 1492م كان تاريخ سقوط الأندلس في يد النصارى الإسبان، وبهذا التاريخ تبدأ مأساة المسلمين بضيايعهم للفردوس بعد ثمانية قرون من العطاء الحضاري، مازالت بصماته واضحة في التاريخ الإنساني، لكن لا بد من تصحيح بعض الأمور أو الوقوف عندها لنبين بأن هذا التاريخ يمثل سقوط آخر معقل من معاقل الأندلس -غرناطة- الإمارة وليس نهاية الدين الإسلامي الذي ظل معتنقه يقاومون ويدافعون بشتى الطرق والوسائل من أجل الحفاظ على مقوماته وشرائعه، وذلك منذ أول يوم من تسليم غرناطة للملكين الكاثوليكين. هذا وبدأت غرناطة تعد أيامها، فتتالت المصائب والمحن على البلاد والعباد على يد أعداء الإسلام، إلى أن اضطر آخر ملوك غرناطة عبد الله الصغير تسليم المدينة إلى الملكين الذين توجا ملوكا على كل الأندلس الضائعة خاصة وأن زواجهما كان بمثابة الضربة القاضية لآخر معقل إسلامي بالأندلس. للاطلاع على تفاصيل أكثر حول موضوع سقوط غرناطة ينظر: المقرئ بن محمد أحمد شهاب الدين التلمساني. نفخ الطيب في غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين ابن الخطيب- تج: إحسان عباس- د ط- دار صادر- بيروت- 1408 هـ/ 1988 م.
- 2- سيدي لخضر بن خلوفا - حياته وقصائده- د ط- منشورات جمعية آفاق مستغانم- دار الغرب للنشر والتوزيع- وهران- 2006 م.
- 3- أبو القاسم سعد الله- تاريخ الجزائر الثقافي 1500-1830 م- ج: 1- ط: 1- دار الغرب الإسلامي- 1992 م- ص: 226.
- 4- لعل السبب في تحويل إسمه وتعويض الأكل بالأكحل بالأخضر يرجع إلى الاعتقادات السائدة آنذاك والتي كان من ضمنها التفاؤل والتبشير بكل كلمة أو علامة تشير إلى شيء يبشر إلى الخير اعتبارا أن ذلك إشارة إلى حدث ما سوف يقع في وقت لاحق يسمون هذا التفاؤل (الفال) وسندهم على صحته المقولة المعروفة: (اتخذوا الفال ولو عمدا). من ذلك عمد الناس على تغيير كل الكلمات التي تشير إلى الأمور السيئة واستبدالها بغيرها من الكلمات المفرحة السارة والمبشرة بالخير والبركة والسعادة والهناء والعافية، ومثالا على ذلك استبدال كلمة ملح بكلمة (ريح) وكلمة نار بكلمة (عافية)، أيضا أطلقوا على الإبرة (مفتاحة) والفحم (بياض) وغيروا الأسماء فأصبح إسم سودة (سعداء) وقابر سموه (جابر) والأسود (يسعد) والأكحل (الأخضر) أو (الأسمر) وهكذا انتشر إسم (مبروك) و(مسعود) و(خضرة) و(خيرة) و(أم الخير) و(سالم) و(غانم) و(فرحات) وغيرها من الأسماء المبشرة بالخير. ينظر: محمد الحبيب حشلاف- الأخضر بن خلوفا من خلال شعره- كراسات المركز- رقم: 15- تراث رقم: 6- 2006 م- ص: 26.
- 5- سيدي لخضر بن خلوفا- المرجع السابق- ج: 1- ص: 70-6- محمد الحبيب حشلاف- المرجع السابق- ص: 25.
- 7- المهدي بن شهرة- تاريخ وبرهان من حل بمدينة وهران- ط: 1- دار الريحانة للكتاب- الجزائر- 2007 م- ص: 130.
- 8- محمد الحبيب حشلاف- المرجع السابق- ص: 36-9- سيدي لخضر بن خلوفا- المرجع السابق- ص: 21.
- 10- محمد الحبيب حشلاف- المرجع السابق- ص: 29.
- 11- هجر سكان شرشال بسبب الحروب المستمرة بين ملوك بني زيان وملوك تونس، بقيت المدينة خالية من سكانها قرابة مائة سنة إلى أن سقطت غرناطة فقصدتها الغرناطيون وأعادوا بناء دورها، كما أدخلوا الكثير من التعديلات على القلعة، ووزعوا الأراضي فيما بينهم فاشتغلوا بصناعة الحرير وذلك بفضل توفر أشجار التوت الأبيض والأسود. ينظر: الوزان بن محمد الحسن- وصف إفريقيا- تر: محمد حجي ومحمد الأخضر- د ط- دار الغرب الإسلامي- بيروت- 1983- ج: 2- ص: 34.

12-الإيالة: باللغة التركية "إيالت" نقلا عن العربية "إيالة" بمعنى الحكم والإدارة والسلطان. وتعتبر الإيالة في الخلافة العثمانية أكبر تقسيم إداري. وقد استعملت رسميا سنة 1591م. ينظر: تأليف مجموعة من الباحثين- دائرة المعارف الإسلامية- ط1: كتاب الشعب- القاهرة- مج5: ص: 264

13- احتل النظام القبلي مكانا مرموقا في الحياة العامة في الجزائر الوسيطة واستمر يحتلها ويطبعا بطابعه إلى غاية الحقبة العثمانية، فخلال قرون طويلة كانت القبيلة هي المحور الأساس الذي كانت تدور عليه فيها جميع الحركات السياسية والتقلبات الاقتصادية والتطورات الفكرية والاجتماعية. فبالرغم من وجود اطار سياسي بارز في الجزائر الوسيطة الممثل في المملكة الزيانية إلا أن هذه الأخيرة لم تستطع أن توحد البلاد اجتماعيا وحتى سياسيا نظرا لمعطيات عدة تشكل في حد ذاتها موضوع بحث منفصل. فغياب الشرعية السياسية والتاريخية عند الزيانيين بالإضافة إلى ضعفهم وعدم قدرتهم على حماية السيادة الترابية للبلاد جعل من الجزائر تنقسم على نفسها إلى مجموعة من الأطر الجغرافية تشغلها مجموعة من القبائل موحدة في شكل أحلاف اجتماعية تمارس سلطتها على نطاق الاطار الجغرافي الذي اعتبرته ملكا خاصا بها ولا يحق لأي كان تحت أي ظرف من الظروف أو تحت أي غطاء سياسي الاعتداء عليه أو المساس بسيادته، وكذلك استمر الحال على ما هو عليه بعد انضمام الجزائر للخلافة العثمانية.

14- بعد الانكسار المعنوي والعسكري الذي تلقاه خير الدين بعد استشهاد كل من عروج واسحاق في موقعة بني راشد قرر الرحيل ومغادرة البلاد ولكنه أمام إصرار الجزائريين على بقاءه وصرفه على الرحيل، اقترح عليهم البقاء ولكن شرط الحاق الجزائر بالخلافة العثمانية حتى تكون هذه الأخيرة السند المعنوي والدعم العسكري له وللبلاد. وبالفعل كان لخير الدين ما أراد، فقد اجتمع أعيان ووجهاء مدينة الجزائر وأحواها سنة 1519م وقرروا ارسال وفد يتزعمه أبو العباس أحمد ابن القاضي ليحمل رسالة إلى السلطان العثماني، يعرضون عليه من خلالها قبول الحاق الجزائر لسلطانهم، يحكمها خير الدين نيابة عنه، ولاقناعه بضرورة قبول هذا الطلب عرضوا عليه تفاصيل مأساتهم بداية بضياغ الأندلس، مروراً بسقوط كل من وهران والمرسى الكبير وطرابلس، واستسلام بقية المدن، وصولاً إلى عرض انتصارات الاخوة بربروس على الأعداء، وختموها بالتحسر على استشهاد عروج وقرار رحيل خير الدين، ليعرضوا في نهاية المطاف قرار التبعية. للاطلاع على تفاصيل أكثر حول الموضوع ينظر: أحمد توفيق المدني- حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر و إسبانيا _ (1492-1797) - د ط - المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية- الجزائر- 1985م.

15- ائروفاة الملك الزياني محمد السابع المعروف بالثابتي سنة 1503م وقع تطاحن وصراع بين أفراد الأسرة الحاكمة الزيانية أبي زيان ويحي، هاذين تأمرا على أخيهما الأكبر عبد الله الذي آل إليه الملك، لكن اكتشاف المؤامرة من طرف رجال مخلصين لعبد الله مكنه من الامساك بأبي زيان والزج به في السجن بينما فريحي إلى المرسى الكبير مستنجدا بالاسبان، هؤلاء ساندوه وساعدوه في تنصيب نفسه حاكما على تنس، كما زودوه بقوات عسكرية ضمت أربعة سفن مدعمة بخمسمائة جندي مقابل اعلان طاعته وخضوعه المطلق للاسبان، كما يتعهد بدفع ضريبة سنوية للخزينة الاسبانية. ينظر: مؤلف مجهول- غزوات عروج وخير الدين- تص: نور الدين عبد القادر- دط- المطبعة الثعالبية- الجزائر- 1934م- صص: 30، 31، 16- سيدي لخضر بن خلوف- المرجع السابق- ص: 27- 17- محمد الحبيب حشلاف- المرجع السابق- ص: 32- 18- المرجع نفسه- ص: 35

19- عرفت المنطقة التي عاش فيها الشاعر سيدي لخضر بن خلوف تنافسا في مجال التدريس والفتوى على غرار مدن الغرب الجزائري وخاصة مدينة مازونة فانتشرت الكتاتيب والزوايا وأقيمت حلقات العلم في المساجد. للاطلاع على تفاصيل أكثر حول الموضوع ينظر: أبو القاسم سعد الله- المرجع السابق.

20- حيمان عبد الرحمان- المديح النبوي في شعر سيدي لخضر بن خلوف، دراسته في موضوعات والشكل- مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في أقلام الشعر الشعبي الجزائري- جامعة أبي بكر بلقايد- تلمسان- 2010-2011م- ص ص: 68، 69.

- 21- شعر الرثاء: الرثاء بصورة عامة هو تعداد خصال الميت بما كان يتصف به من صفات كالكرم والشجاعة والعفة والعقل. كما يصف حالة التفجع على الميت والتأسي والتعزي.
- وقوام القصيدة الرثائية بنية تتألف من عناصر ترد متراتبة من بينها العنصر الأول وبه يتم الاستهلال وهو حتمية الموت. ينظر: أبو علي الحسن بن رشيق- العمدة في معرفة صناعة الشعر ونقده وعبوه- تحقيق: محمد مي الدين- مطبعة حجازي- د ط- إيران- 1934م- ج: 2- ص: 140 فالعنصر الثاني وهو التفجع ومن معانيه تحديد أسباب الفاجعة (كيف حصل موت المرثي) وزمائها ومكانها ثم إبراز تأثير الفاجعة في أهل المرثي وفي الراثي الشاعر. ينظر: السيد أحمد الأشي- جواهر الأدب في الأدبيات وإنشاء لغة العرب- د ط- دار الجيل- ج: 1- ص: 402. 22- محمد الحبيب حشلاف- المرجع السابق- ص: 32. 23- المرجع نفسه- ص: 37.
- 24- المرجع نفسه- ص: 38.
- 25- أعلنت سنة 1609م السلطات الأسبانية قرار النفي النهائي للمورسكيين، واتخذت الإجراءات اللازمة لذلك، حيث حشدت السلطات كل قواتها في جميع الأنحاء الموريسكية، وأذنت لهم بركوب البحر والخروج لمن أراد ذلك، وبيع ما عنده والهجرة إلى البلاد الإسلامية في مدة ثلاث سنين، فتحرك بذلك المورسكيون وعزموا على ترك ديارهم وأموالهم ومفارقة أوطانهم والخروج من بينهم والذهاب إلى الديار التونسية والمغرب الأقصى وكذلك الجزائر. ينظر: مؤلف مجهول- أخبار العصر في القضاء دولة بني نصر- تج: محمد المتوني، محمد بن عبود- السعدية قاعية وآخرون- (التاريخ الأندلسي من خلال النصوص)- الدار البيضاء- د ط- شركة النشر والتوزيع المدارس)- ص: 283.
- 26- إن رضوخ مسلي إسبانيا لقرار الطرد لا يجب أن يفهم على أنه كان موقفا استسلاميا، بل اعتبروه مرحليا فقط، الغرض منه الالتجاء إلى العثمانيين لاسترجاع ما ضاع منهم، وهذا ما سجله بعض الرهبان الذين قادوا عملية الطرد من بينهم الراهب أزمار كاغدو "Azmar Cardono" الذي كتب حول الموضوع يقول: "...خرج المورسكيون من عمليات الطرد: وهم يهددون الإنسان بأنهم سيرجعون بمساعدة الأتراك لإعادة الإسلام إلى إسبانيا..." وأضاف في تقريره بأنه ظل العديد منهم يحتفظ بمفاتيح بيوتهم على أمل الرجوع. ينظر: براتشينا دون باسكوال بورونا- الموريسكيون الإسبان ووقائع طردهم- تر: كتره الغالي- ط: 1- مركز العمودي للترجمة ونشر التراث المخطوط- د ب ن- 1433 هـ/ 2012م- ج: 1- ص: 160.
- 27- لقد تضررت إسبانيا كثيرا من وراء اتخاذ هذا القرار وأحسن وصف لما آلت إليه من تدهور في الكثير من الميادين هذا الوصف التاريخي الذي قدمه غوستاف لوبون حول الموضوع فكتب يقول: "...مما يرقى له أن حرمت إسبانيا عمدا هؤلاء الملايين الثلاثة الذين كانت لهم إمامة السكان الثقافية والصناعية؛ ثم رأت محاكم التحقيق أن تبيد كل نصراني ترى فيه شيئا من النباهة والفضل. وقد كان من نتائج تلك المظالم المزدوجة أن هبطت إسبانيا إلى أسفل دركات الانحطاط بعد أن بلغت في أيام العرب قمة المجد، وأن انهيار كل ما كان فيها من الزراعة والصناعة والتجارة والعلوم والآداب". ينظر: حضارة العرب- تج: زعيتر عادل- د ط- د د ن- مصر- 1945م- ص: 292.
- 28- هناك مجموعة من العوامل ساهمت في قرار اختيار دول المغرب العربي كوطن بديل لمسلي إسبانيا، من بين هذه العوامل نذكر العامل الجغرافي، فبغض النظر على قرب المسافة بين المنطقتين فالمنتقل من أرض الأندلس نحو المغرب يشعر بأنه في المكان نفسه، فالأودية والضياع المعلقة في أعالي السفوح والجو ومشهد الشوارع في المدن الصغرى، حتى أوضاع الناس، كل ذلك يتشابه تشابها عجيبا. في حين تمثل العامل التاريخي في أن بلاد المغرب وجدت نفسها مدعوة منذ أن فتح المسلمون الأندلس، تلعب دورا هاما في عملية استقرار المغاربة في هذه البلاد، إذ أن العلاقات التاريخية بين البلدين في العهد الإسلامي تعود إلى نهاية القرن الأول الهجري. فاستقبلت الأندلس الكثير من سكان المغرب الذين ما لبثوا أن تمازجوا مع سكان المنطقة. وقد ظلت الهجرات الأندلسية منذ الفتح الإسلامي، محافظة على توازنها بين العدوتين لارتباطها بما يعرف في الاصطلاح الجغرافي بعملية الجذب والطرود. 29- المرسى الكبير: مدينة صغيرة أسسها ملوك تلمسان على ساحل البحر الأبيض المتوسط. ينظر: الحسن بن محمد الوزان- المصدر السابق- ص: 31.

³⁰ - يجدر بنا الإشارة إلى أن البرتغال كانت السبابة لاحتلال المرسى الكبير، فقد جهزت حملة عسكرية سنة 1501م مؤلفة من ثلاثين سفينة تحمل ثلاثة آلاف جندي. أقلعت الحملة في 15 جوان غير أن سوء الأحوال الجوية أجبرت القوات على الرسو داخل الخليج لمدة ثلاثة أيام، مما مكن السكان من اكتشاف أمرها، فأعلنوا حالة الاستنفار واستجدوا بأخوانهم من المناطق المجاورة لصعد العدوان البرتغالي على المنطقة، فتمكنوا من هزم القوات البرتغالية وانقاذ المدينة من ذل ومهانة الاحتلال. ينظر: عبد القادر فكاير- العلاقات الجزائرية البرتغالية خلال الفترة العثمانية- دورية كان التاريخية- دار الناشر للنشر الإلكتروني- الكويت- ع: 18 ديسمبر 2012- ص ص: 20_25.

³¹ - أصدر الملك الأسباني فرناندو مرسوما ملكيا في شهر ديسمبر من سنة 1508م يعلن من خلاله تجهيز حملة عسكرية على مدينة وهران قصد احتلالها؛ على هذا الأساس جهز الكاردينال خمينيس حملة ضخمة تكونت من خمسة عشر ألف جندي تحملهم ثلاث وثلاثون باخرة حربية وواحد وخمسون زورقا، يقودها بيدرو نافارو. ينظر: مرمول كريخال- أفريقيات- تر: محمد حجي وآخرون- د ط- دار المعرفة- الرباط- 1989- ص: 271. أقلع الأسطول من ميناء قرطاجنة يوم 16 ماي من سنة 1509م، ووصل إلى المرسى الكبير يوم 19 ماي من السنة نفسها، توقف هناك ليتم وضع الترتيبات النهائية للحملة وأخذ التموينات اللازمة. ينظر: محمد مبارك الملي- تاريخ الجزائر في القديم والحديث- ج: 3- د ط- مكتبة النهضة الجزائرية- الجزائر- 1964م- ص: 23.

32--Charles Féraud- Histoire des villes de la province de Constantine- R,C, 1871-1872- P : 254.

³³ - لقد أحدثت الحملات العسكرية التي شنها الأسبان على كل من المرسى الكبير ووهران ثم بجاية هلعاً وخوفاً كبيرين في نفوس سكان المدن الساحلية المتبقية، لهذا رأت أنه لا مفر لها من الاستسلام وإعلان خضوعها قبل أن تلاق المصير نفسه الذي آلت إليه المدن المحتلة، خاصة وأنهم كانوا لا يملكون القوة السياسية والعسكرية لصعد هذا العدوان عليهم. للاطلاع على معلومات أكثر حول هذا الموضوع ينظر: أحمد توفيق المدني- المرجع السابق.

³⁴ - في رأينا لم يكن للتواجد العثماني في منطقة غربي البحر الأبيض المتوسط هدف وحيد هو انقاذ مسلمي اسبانيا والتصدي للقرصنة الأوروبية، وإنما كانت هناك دوافع أخرى حاولت السلطة العثمانية التستر عليها قدر المستطاع إلى أن تتمكن من تجسيدها على أرض الواقع. فقد رأت أنه من المنطقي بعد الحاق المشرق الإسلامي بالخلافة العثمانية لا بد من اتمام هذا المشروع بالحق دول المغرب لها، ولكن لجهلها بعقلية المجتمع المغاربي ولتخوفها من الدخول في غمار مجازفة قد لا تحمد عواقبها قررت التريث إلى حين ظهور مستجدات قد تسمح لتدخل شرعي ودون مخاطر.

³⁵ - بربروس: هم أبناء الفخارجي يعقوب بن يوسف: عروج وخير الدين وإسحاق، الذين التحقوا بالقوات العثمانية مند حوالي 1504م، واستحدثوا لأنفسهم أسطولا بحريا قويا، وشرعوا في مواجهة القراصنة الأوروبيين انطلاقا من جزيرة جربة، وحلق الوادي، وجيل. وأثمرت جهودهم بالسيطرة الكاملة على غربي البحر الأبيض المتوسط. للاطلاع على تفاصيل أكثر حول الموضوع ينظر: ابن سحنون أحمد بن محمد الراشدي- الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني- تح: المهدي البوعبدلي- د ط- منشورات وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية- مطبعة البحث- الجزائر- 1973م- ص: 28.

³⁶ - جزيرة جربة: هي عبارة عن جزيرة منبسطة رملية غزاها الأسبان بعدما بسطوا نفوذهم على طرابلس سنة 1510م. ينظر: حسن الوزان- المصدر السابق- ص ص: 93، 95. ولكن سرعان ما استبدل الاخوة بربروس هذا المقر بحلق الوادي تجنباً للغارات الاسبانية المتكررة على الجزيرة.----37- اتفق عروج مع الأمير الحفصي أبي عبد الله محمد على السماح لهم بجعل جزيرة جربة مركزا لأسطوله وفتح كل الموانئ التونسية لهم عند الضرورة. ينظر: بن بلة خيرة، المنشآت الدينية بالجزائر العثمانية- رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه- جامعة الجزائر- 2008م- ص: 60.

³⁸ - شكلت الخلافة العثمانية شوكة في خاصرة الإمبراطورية بنوآياها التوسعية نحو وسط أوروبا. وخاضت اسبانيا في الواقع عدة صراعات ضد العثمانيين؛ فوجدت نفسها غالبا ما تحارب على جبهتين في ذات الوقت: شرقا ضد العثمانيين وغربا ضد الفرنسيين. فالقوة العسكرية التي كانت تتمتع بها الخلافة العثمانية مكنتها من خوض معارك كثيرة على عدة جبهات، حققت

خلالها انتصارات أبهرت أباطرة وملوك أوروبا. وبما أن إسبانيا اعتبرت نفسها حامية الكاثوليكية، كان عليها البقاء في حرب مستمرة مع العثمانيين. للاطلاع على تفاصيل أكثر حول الموضوع ينظر: عبد الجليل التميمي- الولايات العربية ومصادر وثائقها في العهد العثماني- ج: 1- د ط- د د ن- تونس- 1984 م.

39- فرمان: لفظ فارسي مناه أمر أو حكم أو دستور موقع من السلطان استعمله الأتراك في العصر العثماني بمعنى الأوامر السلطانية. ينظر مصطفى عبد الكريم الخطيب. معجم المصطلحات والألقاب التاريخية. مؤسسة الرسالة. بيروت. 1996 م. ط 1. ص 338.

40- خير الدين: انقسم المؤرخون إلى فريقين في أصل هذا القائد المجاهد فذهب المؤرخون الأوروبيون إلى أن أصله من اليونان ثم اعتنق الإسلام. ينظر: كورين شوفالي- الثلاثون سنة الأولى لقيام دولة مدينة الجزائر 1510-1540 م- تر: جمال حمادنة- د ط- ديوان المطبوعات الجامعية- الجزائر- 1991 م- ص: 24. في حين ذكر الفريق الثاني أن أصله يرجع إلى الأتراك المسلمين كان والده يعقوب بن يوسف من بقايا الفاتحين. ينظر: محمد يوسف الزباني- دليل الجيران وأنيس السهران في اختيار مدينة وهران- تق وتع: المهدي بوعبد الله- د ط- الشركة الوطنية للنشر والتوزيع- الجزائر- 1979 م- ص: 183. ولد سنة 861 هـ/ 1474 م. ينظر: أحمد بن عبد الرحمان الشقراني الراشدي- القول الأوسط في أخبار بعض من حل بالغرب الأوسط- تح وتقي: ناصر الدين سعيدوني- ط 1- دار الغرب الإسلامي- بيروت- 1991 م- ص: 32-41- باي لأرباي: تعني. ينظر:

A. Bellegrin- Essai sur les nems et les les lieux d'Algérie et de Tunisie- Etymologie édition- Tunis- S. A. P. I- 194- P: 204.

42- أرسل السلطان العثماني فور تعيين خير الدين باي لأرباي على الجزائر دعما عسكريا تمثل في ألفي جندي انكشاري ودخيرة حربية، ومدافع وعدد من السفن الحربية. ينظر: محمد صالح بن العنتري- فريدة منسية في حال دخول الترك بلد قسنطينة واستيلائهم على أوطانها- مر، تع: يحيى بوعزيز- د ط- دار هومة- الجزائر- 2005 م- ص: 77.

43- الإنكشارية: كلمة عربية حرفت عن الكلمة التركية عند ترجمتها "يني تشاري" وتكتب بالتركية "يكيچري" وهي مكونة من قسمين "يكي" ويعني "جديد" و"جري" cery بمعنى "العسكر". ينظر: أماني بنت جعفر بن صالح المغازي- دور الإنكشارية في إضعاف الدولة العثمانية- ط 1- دار القاهرة- القاهرة- 2007 م- ص: 21، 22-44- دار السلطان: ورد تسميتها في الوثائق العثمانية بـ "محروسة الجزائر" أو "باب الجهاد". ينظر: ملفات الوثائق العثمانية- المكتبة الوطنية بالحامة- الجزائر- رقم الملف: 3205.

45- بايلك: مصطلح تركي أطلقته الإدارة العثمانية على الاطار الجغرافي التابع لسلطتها. ينظر: مصطفى أحمد بن حموش. فقه العمران الإسلامي للأرشييف العثماني الجزائري 1549- 1830 م. دار البحوث والدراسات الإسلامية للنشر. دبي. د س ط. د ط ص: 268. أما في ملفات الوثائق العثمانية فكان يطلق على كل بايلك باسم عاصمة حكمه مثال عن ذلك اقليم قسنطينة الذي كان دلالة على بايلك الشرق. ينظر: ملفات الوثائق العثمانية. المكتبة الوطنية بالحامة- الجزائر- رقم الملف: 1642.

46- بايلك تيطوري: أسس سنة 1540 م. كانت عاصمته المدية. وهو أول بايلك بعد دار السلطان. اتصف بضيق مساحته مقارنة بببايلك الشرق والغرب، كما عرف بضعف اقتصاده نتيجة افتقاره لموارد وثروات طبيعية، ذلك أن جل مساحته هي مناطق داخلية. ينظر: محمد بن ميمون الجزائري- التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية- ط 2- الشركة الوطنية للنشر والتوزيع- الجزائر- 1985 م- ص: 36.

47- بايلك الغرب: أسس سنة 1563 م، وترجع بعض الروايات التاريخية أن حسن بن خير الدين كان أول من وضع الأسس الأولى للإدارة العثمانية بببايلك الغرب، وتم له ذلك قبل عودته من حصار وهران متجها إلى مدينة الجزائر سنة 1563 م. ينظر:

Esterhazy Walisn- Domination Turque dans l'ancienne régence d'Alger-Paris-1840- P: 165

48- بايلك الشرق: تضاربت الروايات التاريخية حول التاريخ الحقيقي لالتحاقها بالسلطة العثمانية. فهناك من المؤرخين من ربطه بسنة التي أخضع خلالها خير الدين مدينة القل لسلطته وكان ذلك سنة 1519 م. ينظر

M. Léon Galibert- L'Algérie ancienne et moderne. Furne et C libraire- éditeur- Parie- P: 7.

أما البعض الآخر فأرجعه إلى الحملة التي شنها قارة حسن على قسنطينة، إذ فرض خلالها على السكان الاعتراف بتبعيةهم لخير الدين الممثل الشرعي للسلطة العثمانية في الجزائر: وقد تم له ذلك خلال الفترة الممتدة ما بين سنة 1519م وسنة 1522م. بينما اتفق كل من ابن أبي دينار وأحمد النيري على أن التحاق المنطقة يعود إلى عهد أبي حسن الحفصي عام 1525م. في حين رجح سعيدوني تاريخ التحاقها الرسمي واكتساب الشرعية إلى سنة 1528م اعتمادا على عقد شرعي حمل التاريخ نفسه. ينظر ناصر الدين سعيدوني- ورقات جزائرية (دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر العثماني)- ط1- دار الغرب الإسلامي- بيروت- 1999م- ص. 11. 49- مكنت كثرة الفتن الذي ضربت بالبيت الملكي الزياني، واستنجد بعض الحكام الزيانيين بالقوات الأسبانية لتمكينهم من العرش الزياني، كما أن افتقارهم لقاعدة شعبية السلطات الأسبانية من فرض منطلقها عليهم، هذا الأخير رمى إلى إخضاع تلمسان رسميا وذلك بالامضاء على معاهدة استسلام في 20 جوان من سنة 1511م ضمت الشروط نفسها التي فرضت على باقي المدن المستسلمة. للاطلاع على تفاصيل أكثر حول الموضوع ينظر: أحمد توفيق المدني- المرجع السابق؟ 50- عروج: يعرف في الكتب التركية بـ"أروج" وتعني الصيام. أصله من جزيرة ميدلي التي أصبحت تابعة للعثمانيين منذ سنة 1457/862م. أسره العثمانيون ولكنه تمكن من الفرار ليستقر به المطاف في نهاية الأمر في بلاد المغرب وبالضبط في جزيرة جربة. استشهد سنة 924هـ/1518م. ينظر

Moulay Belhamissi- Marine et Marins d'Alger (1518-1830)- Bibliothèque nationale d'Algérie-Alger- 1996- T : 1-P : 140.

51- حسن أغا: تضاربت الروايات حول أصله، من بينها أنه الابن الوحيد لخير الدين من أم جزائرية، نتج عن مصاهرة جمعت خير الدين بابن القاضي. ولد بمدينة الجزائر وترى بين أهلها وتثقف على يد علمائها. ينظر: أحمد توفيق المدني- حرب ثلاثمائة سنة- (المرجع السابق)- ص: 301-52- ظلت المملكة الزيانية بين مد وجزر، فمرات تدين بالولاء والطاعة للعثمانيين، ومرات أخرى تميل فيها الكفة لصالح الأسبان وذلك نتيجة لأمرين: أما الأول فسببه ضعف الحكام وضربهم لبعضهم البعض بالاستعانة بالإسبان، في حين تمثل السبب الثاني في الحملات الأسبانية والمغربية المتكررة على تلمسان. لذلك قررت السلطة العثمانية بقيادة حسن ابن خير الدين إخضاع تلمسان نهائيا للحكم العثماني والقضاء على السلطة الزيانية التي أضرت بالعباد والبلاد، فكان له ذلك، إذ تم إخضاع المنطقة للنفوذ العثماني والسيطرة عليها، ومنذ سنة 1555م، أصبحت تلمسان ولاية عثمانية مثلها مثل بقية المناطق الجزائرية الأخرى. ينظر: حكمت ياسين- الغزو الأسباني في القرن السادس عشر أسبابه ومراحله ونتائجه- الأضالة- ع: 14-15-2011م- ص ص: 242، 243.

53- تشكل أسطول بحري بقيادة أندريا دوريا "Andréa Doria" تعداده عشرين سفينة، تحمل على متنها حوالي 1500 جندي. أفلح بالأسطول في شهر جويلية من السنة نفسها من ميناء جنوة متوجها به نحو مدينة شرشال. ينظر: عبد العزيز سامح ألتر- الاتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية- تر: محمود علي عامر- ط1- دار النهضة العربية- لبنان- 1989م- ص: 95. ولما وصل الأسطول وجدوا المدينة خاوية على عروشها، حينها أنزل القائد الأسباني قواته فجالوا في المدينة يخربون وينهبون، أما الجنود الجزائريون الذين تحصنوا في القلعة مدعين الحماية العثمانية هناك فقد أخذوا يترقبون الأحداث، ولما لاحظوا تلك الفوضى قرروا الدخول في معركة معهم تمكنوا خلالها من إحراز النصر واضطر الأسبان للاستسلام. ينظر: أحمد توفيق المدني، المرجع السابق. ص: 224-54- سيدي لخضر بن خلوف حياته وقصائده- المرجع السابق- ص: 31-55- المرجع نفسه، ص: 31.

56- الأغا: كان يلقب أيضا بالزبوج، التي تعني باللغة العربية القائد العام. ينظر: A.Bellegrin. Op. Cit. P: 204.

56- حميان عبد الرحيم- المرجع السابق- ص: 78-57- سيدي لخضر بن خلوف- المرجع السابق- ص: 167.

58- وقعت المعركة خلال شهر أوت من سنة 1558م، وقد قاد القوات الجزائرية حسن أغا باي لأرباي الجزائر، وقد دعمت قواته النظامية بقوات متطوعة التحقت بها من منطقة الظهرة ومعسكر وتلمسان. ينظر:

Haido (F. D)- Histoire des rois de l'Alger-Traduite et annotée par Grammont (H d)- Ed Adolphe Jourdan libraire éditeur- Alger- 1881-P P : 117,118,

- 59- سيدي لخضر بن خلوف حياته وقصائده- المرجع السابق- ص 167-----60- المرجع نفسه- ص 167-----61- المرجع نفسه- ص: 167-----62- ينظر القصيدة في المرجع نفسه- ص: 167-172-----63- يقصد به مصطلح كونت
- 64- قاد القوات الأسبانية التي بلغ تعدادها حوالي 12 ألف مقاتل الكونت الكونت ألكوديت. ينظر: عزيز سامح التز- الأتراك العثمانيون في شمال إفريقيا- تر: محمود علي عامر- د ط- دار النهضة العربية للنشر والتوزيع- بيروت- 1989 م- ص: 205.
- 65- سيدي لخضر بن خلوف حياته وقصائده- المرجع السابق- ص: 169-----66- المرجع نفسه- ص: 171-----67- المرجع نفسه- ص: 169-----68- الشبوكي سالم- المواهب الفطرية للأشعار الشعبية- إنتاج الشبوكي سالم- طبعة خاصة من نققة المؤلف- ص: 10، 11.